الأدب

هو التحلى بأحسن صفات الكمال ، والتخلى عن الرذائل والبعد عن النقائص ، بحيث يكون الإنسان فى جميع أحواله ومعاملاته فى المجتمع الإنسانى ، على مقتضى العقل الكامل والذوق السليم ، فلا يصدر منه ما يوجب الذم واللوم ، ولا يقع منه ما يخل بشرفه ، أو يحط من قدره فالأدب عنوان الكمال ، يرفع الوضيع إلى درجة الرفيع ، ويعلو بالسوقة إلى مرتبة الملوك ، ولهذا كان حقا على كل امرئ أن يتخلق به طبقا لما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وقال عليه الصلاة والسلام (أمرنى ربى بتسع ، الإخلاص فى السر والعلانية . والعدل فى الغضب والرضا . والقصد فى الفقر والغنى . وأن أعفوَ عمن ظلمنى . وأصلَ من

قطعنى . وأعطىَ من حرمنى . وأن يكون نطقى ذكرا . وصمتى فكرا . ونظرى عبرة) وقال عليه السلام (ليس منا من لم يُوقّر كبيرنا و يرحم صغيرنا . ويعرف لعالمنا حقه)

وقال على كرم الله وجهه إن الله تعالى جعل مكارمَ الأخلاق ومحاسنَها وصلا بينه و بينكم ، فحسْبُ[1] الرجل أن يتصل من الله تعالى بخلق منها وقال غاية الأدب أن يستحيى الإنسان من نفسه

وقال خالد بن صفوان لابنه . يا بنى الأدب بهاء الملوك ورياش[2] السوقة[3] والناس بين هاتين فتعلمه تجد نفسك حيث تحب

وقال ابن المقفع . مانحن إلى ما نتقوى به على حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا إلى الأدب الذى هو لقاح[4] عقولنا

وقال بزرجمهر . ليت شعرى أىّ شىء أدرك من فاته الأدب وأى شىء فات من أدرك الأدب . وقال لكسرى وعنده أولاده . أى أولادك أحب إليك . قال أرغبهم فى الأدب . وأجزعهم[5] من العار . وأنظرهم إلى الطبقة التى فوقهم

وحكى الأصمعى رحمه الله تعالى . أن أعرابيا قال لابنه .

---

(١) كفاه . (٢) لباس فاخر . (٣) الرعية من الناس . (٤) سبب فى نمائها (٥) أخوفهم .

يابنى الأدب دِعامة[١] أيّد الله بها الألباب : وحلية زيّن الله بها عواطل الأحساب : فالعاقل لايستغنى وإن صحت غريزته[٢] عن الأدب المخرج زهرته : كما لاتستغنى الأرض. وإن عذبت تربتها[٣] : عن الماء المخرج ثمرتها

وقال بعض الحكماء . الأدب صورة العقل . فصور عقلك كيف شئت : وقال آخر : إذا كان الرجل طاهر الأثواب . كثير الآداب . حسن المذهب تأدب بأدبه وصلح بصلاحه جميع أهله وولده . وقال غيره . من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان قبل وضيعا وبعد صيته وإن كان خاملا[٤] وساد وإن كان غريبا : وكثرت الحاجة إليه وإن كان مقترا[٥] . وقال غيره: عليكم بالأدب فإنه صاحب فى السفر : ومؤنس فى الوحدة . وجمال فى المحفل : وسبب إلى قضاء الحاجة

وقال بعض الأدباء : زكّ[٦] قلبك بالأدب كما تُزكّى النار بالحطب . واتخذ الأدب غُنما . والحرص عليه حظا . يرتجيك راغب ويخاف صَوْلتَك[٧] راهب . ويؤمل نفعك . ويُرجى عدلك :

---

(١) عماده (٢) طبيعته . {٣} صلح ترابها للزراعة {٤} ساقطا {٥} بخيلا {٦} نمّ {٧} سطوتك

وقال آخر : شبه العالم الشريف العديم الأدب بالبنيان الخراب : الذى كلما علا سمكه . كان أشد وحشة : وبالنهر اليابس [١] . الذى كلما كان أعرض وأعمق كان أشد وعورة : وبالأرض الجيدة المعطلة . التى كلما طال خرابها . ازداد نباتها غير المنتفع به التفافا . وصار للهوام [٢] مسكنا

وقال بعض العلماء : العقل بلا أدب . كالشجر العاقر [٣] . ومع الأدب كالشجر المثمر . وقال آخر . الأدب وسيلة إلى كل فضيلة : وذريعة إلى كل مكرمة

وقال بعض الفصحاء . الفضل بالعقل والأدب . لا بالأصل والحسب . وقال غيره . من ساء أدبه ضاع حسبه . ومن قل عقله جهل أصله . وقال غيره . الأدب يستر قبيح النسب

وقال الشاعر

لكل شىء زينة فى الورى ... وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بآدابه ... فيناو إن كان وضيع النسب

وقال آخر

فما خلق الله مثل العقول ... ولا اكتسب الناس مثل الأدب

{١} الجاف {٢} الأفاعى {٣} عديم الثمر

وما كرم المرء إلا التقى ولا حسب المرء إلا النسب

وقال غيره

ما وهب الله لامرئ هبةً أشرف من عقله ومن أدبه

هما حياة الفتى فإن عدما فان فقد الحياة أجمل به

وقال غيره

كن ابن من شئت واكتسب أدباً * يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول هأنذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

***

وهنا أذكر بعضا مما ورد فى الحث على تهذيب الأولاد منذ نشأتهم وغرس فضيلة الأدب فيهم . حتى يشبوا وقد انطبع فى قلوبهم حب الفضيلة . وبغض الرذيلة

قال عليه الصلاة والسلام (ما نحل[1] والدٌ ولدهُ نِحلةً أفضل من أدب حسن) وقال عليه الصلاة والسلام (حق الولد على والده أن يُحسن اسمَه وأدبَه وأن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية) وقال (لأن يؤدبَ الرجلُ ولده خيرٌ من أن يتصدق بصاع)

وقال على كرم الله وجهه . قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقى فيها من شىء قبلته

---

(١) أعطى

وقال الإمام الغزالى . الولد أمانة عند والديه . وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة [١] خالية من كل نقش وصورة . وهو قابل لكل ما يُنقش عليه . ومائل إلى عمل ما يميل إليه . فإن عوداه الخير وعلماه وعمله نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة

وقال الإمام الماوردى . إن التأديب اللازم للأب أن يأخذ ولده بمبادىء الآداب ليأنس بها وينشأ [٢] عليها . فيسهل عليه قبولها عند الكبر . لاستئناسه بمبادئها فى الصغر . لأن نشوء الصغير على الشىء يجعله متطبعا به . ومن أغفل فى الصغر كان تأديبه فى الكبر عسيرا

وأوصى عمرو بن عُتبة مؤدب وُلْده فقال ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك . فان عيونهم معقودة بعينيك . فالحسن عندهم ما فعلت . والقبيح ما تركت . علّمهم كتاب الله . ولا تُملّهم فيه فيتركوه ولا تتركهم منه فيهجروه وروّهم [٣] من الحديث أشرفه . ومن الشعر أعفّه ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه [٤] . فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلّة للفهم . وعلمهم سُنَن الصلحاء . وجنّبهم محادثة السفهاء وروّهم سير الحكماء وتهددهم بى .

---

(١) طبيعة {٢} يربو (٣) لفهم (٤) يتقنوه

وأدبهم دونى. وكن كالطبيب الذى لا يعجّل بالدواء قبل معرفة الداء. ولا تتوكل على عذر منى لك . فقد اتكلت على كفاية منك

وأوصى الرشيد مؤدب ولده الأمين فقال . إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه . وثمرة قلبه فصيّر يدك عليه مبسوطة . وطاعتك عليه واجبة أقرئه كتب الدين وعرّفه الآثار . وروّه الأشعار. وعلّمه السُّنَن. وبصّره مواقع الكلام. وامنعه الضحك إلا فى أوقاته . ولا تمر بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها من غير أن تُخْرقه[1] فتميت ذهنه . ولا تُمْعن[2] فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه . وقوّمه ما استطعت بالرفق والملاينة . فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة

وقال زيد بن على . إن خير الآباء للأبناء من لم يدعه الحنان[3] إلى التفريط[4]

وقال بعض العلماء . ينبغى للوالد ألا يسهو عن تأديب ولده . وذلك بأن يُحَسِّنَ عنده الحسن ويقبح فى عينه القبيح : وليحثه على مكارم الأخلاق وجميل الآداب وليحضّه على تعلم العلم والأدب ويُدَرّبه[5] على ذلك : وقال غيره بادروا إلى تأديب الأطفال :

---

(١) تدهشه (٢) تبالغ (٣) الرحمة (٤) التقصير (٥) يعوده

قبل تزاحم[١] الأشغال : وتفرق البال

وقال صالح بن عبد القدوس

وإن من أدبته في الصبا * كالعود يُسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً * بعد الذي أبصرت من يُبْسه

وقال الشاعر

عوِّد بنيك على الآداب في الصغر * كيما تقرَّ[٢] بهم عيناك في الكبر
فإنما مثل الآداب تجمعها
في عنفوان[٣] الصبا كالنقش في الحجر

هي الكنوز التي تنمو ذخائرها[٤] * ولا يخاف عليها حادثُ الغِيَر
إن الأديب إذا زلَّت[٥] به قَدَمٌ
يهوى على فرش الديباج[٦] والسرر

وقال آخر

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر * وليس ينفع بعد الشيبة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت * ولن تلين إذا قومتها الخشبُ

وقال غيره

ينشأ الصغير على ما كان والدهُ * إن الأصول عليها ينبت الشجر

---

(١) تزاحم (٢) تفرح (٣) مبدأ (٤) خيراتها (٥) عثرت {٦} الحرير

الحلم

هو ضبط النفس عند ثورة الغضب حال وجود ما يدعو إليه . وتملك عنانها حذر الاسترسال فى هياجها . فيحدث مالا تحمد عقباه . فكم جر الغضب من الأضرار على أناس مالو ملكوا أنفسهم وكبحوا[1] جماحها لسلموا منه . وكانوا إلى السيادة التى حرصوا عليها بما فعلوا أقرب . وإن مما يدعو إلى طول الأسف ما نراه عند شباننا من الغضب فى أدنى الأمور وأوهى الأسباب ولو علموا أن الحلم سيد الأخلاق . وأنه يكمل صاحبه بجميل الخصال . ويحببه إلى الله تعالى . ويرفع قدره عند الناس لما عرفوا للغضب سبيلا ولا سلكوا له طريقا

قال الله تعالى (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) وقال عز وجل (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ [2] وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب الحليمَ الحييَّ ويُبغض الفاحشَ البَذِى [3]) وقال عليه الصلاة والسلام (ليس الشديدُ بالصُّرَعة [4] . إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب) وقال

{١} ردوا غلبتها {٢} المعروف {٣} القبيح {٤} الذى يصرع غيره ويغلبه

عليه السلام (ألا أخبركم بمن يُحرَّم على النار أو بمن تُحرَّم عليه النار: تُحرَّم على كل قريب هيِّن لَيِّن سهل) وقال (ابتغوا الرفعة عند الله. تحلم عمن جهل عليك. وتُعطى من حرمك) وقال (كاد الحليم أن يكون نبيا) ورُوى أن رجلا أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أوصنى (قال لاتغضب فردَّد مرارا قال لاتغضب)

وقال على كرم الله وجهه. أول ما يُعوَّض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لرجل أسمعه كلاما. يا هذا لاتُغْرِقْ[1] فى سِبِّنا ودَعْ للصلح موضعا. فإنى أبيتُ مشاتمةَ الرجال صغيرا. فلَن أجيئَها كبيرا. وإنى لا أكافئ من عصى الله فىَّ بأكثر من أن أطيع الله عزوجل فيه. وشتم رجل الشعبى: فقال إن كنتُ كما قلتَ فغفر الله لى: وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك: واغتاظت عائشة رضى الله عنها على خادم لها ثم رجعت إلى نفسها فقالت: لله دَرُّ[2] التقوى ماتركت لذى غيظ شفاء

وقال الأحنف بن قيس: ماعادانى أحد إلا أخذت فى

---

(١) لاتبالغ (٢) كلمة مدح

أمره بأحدى ثلاث خصال : إن كان أعلى منى عرفت له قدره وإن كان دونى رفعت قدرى عنه . وإن كان نظيرى تفضلت عليه

وقال بعض الحكماء . احتمال السفيه خير من التحلى بصورته والإغضاء [١] عن الجاهل خير من مشاكلته . وقال آخر . إذا سكتّ عن الجاهل فقد أوسعته جوابا . وأوجعته عقابا . وقال غيره . فى إغضائك راحة أعضائك

وقال بعض الأدباء . من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم . وقال آخر ما أفحش حليم . ولا أوحش كريم

وقال بعض البلغاء . ما ذبّ [٢] عن الأعراض [٣] كالصفح والإعراض [٤] وقال آخر . ثلاثة لا يعرفون إلا فى ثلاثة مواطن . لا يعرف الجواد إلا فى العسرة . والشجاع إلا فى الحرب . والحليم إلا فى الغضب .

وكان الأحنف مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته فقيل له ممن تعلمت الحلم : فقال من قيس بن عاصم . كنا نختلف [٥] إليه فى الحلم كما نختلف إلى الفقهاء فى الفقه . ولقد حضرت عنده

---

(١) احتمال المكروه (٢) دفع (٣) جمع عرض وهو الشرف (٤) ترك العقوبة (٥) نتردد

يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاءوا به مكتوفا. فقال ذعرتم[1] أخى أطلقوه واحملوا إلى أم ولدى ديته فإنها ليست من قومنا ثم أنشد

أقول للنفس تصبيرا وتعزيةً ... إحدى يدىَّ أصابتنى ولم ترِدِ
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وقال الجمدى

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقال صلاح الدين الصفدى

واستشر[2] الحلم فى كل الأمور ولا
تسرع بمبادرة يوما إلى رجل
وإن بليت بشخص لا خلاق له ... فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

وقال الشاعر

أحب مكارم الأخلاق جهدى ... وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب[3] الناس حلما ... وشر الناس من يهوى السبابا

---

(١) خوفتم (٢) اتخذ (٣) شتم

ومن هاب [١] الرجال تهيبوه ومن حقر الرجالَ فلن يُهابا

وقال آخر

وفى الحلم ردع للسفيه عن الأذى

وفى الخرْق [٢] إغراء [٣] فلاتك أخْرقا

فتندم إذ لا ينفعنْك ندامةٌ كماندم المغبون [٤] لما تفرقا

وقال غيره

وللكف [٥] عن شتم اللئيم تكرما أضر له من شتمه حين يشتم

وقال غيره

ليست الأحلام فى حال الرضا إنما الأحلام فى حال الغضب

وقال غيره

ألا إن حلم المرء أكرمُ نسبةً تسامى [٦] بها عند الفخار حليمُ

فيارب هبْ لى منك حلما فإننى أرى الحلم لم يندم عليه كريمُ

***

(١) الهيبة • الاجلال والمخافة (٢) الحمق (٣) خدعة وخطر {٤} المغلوب بالخدعة {٥} الامتناع (٦) تبارى

الصدق

هو القول بما يطابق الحقيقة والواقع . من غير تبديل . ولا زيادة أو نقصان . ولولاه لانتزعت ثقة الناس بعضهم من بعض ولما وصل إليهم شيء من الحقائق فى العلوم والأديان . وليس فى الأخلاق خلق أحسن بالإصلاح والنظام من الصدق . ولا أفسد لهما من الكذب : فهو رأس الفضائل وأس المروءة . من تحلى به كملت صفاته . وسمت أخلاقه . وتحققت معه آماله

قال الله تعالى (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) وقال تعالى (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) وقال عز وجل (لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) وقال جلّ شأنه (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) وقال تعالى (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليكم بالصدق فإنه مع البر . والبر يهدى إلى الجنة . وإياكم والكذب فإنه مع الفجور

والفجور يهدى إلى النار) ورُوىَ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (عملُ الجنة الصدقُ : وإذا صدق العبد برّ . وإذا برّ آمن . وإذا آمن دخل الجنة . وعملُ النار الكذبُ . وإذا كذب العبد فجر . وإذا فجر دخل النار) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (عليكم بالصدق فإنه بابٌ من أبواب الجنة . وإياكم والكذبَ فإنه بابٌ من أبواب النار) وقال (رحم اللهُ امرأً أصلح من لسانه : وأقصر من عنانه[1] وألزم طريق الحق مِقْوَلَهُ[2] ولم يعوِّد الخَطَلَ[3] مِفصَلَه[4])

(وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن جبانا قال نعم . قيل أفيكون بخيلا قال نعم . قيل أفيكون كذابا قال لا)

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن يضمنى الصدق وقلما يفعل أحبُّ إلىّ من أن يرفعنى الكذب وقلما يفعل

وقال على كرم الله وجهه قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله

وقال ابن المقفع . لاتتهاون بإرسال الكِذْبة من الهزل فانها تُسرع إلى إبطال الحق

وقال على بن عبيدة . الكذب شعار الخيانة . والصدق ربيع

---

(١) زمامه (٢) لسانه (٣) المنطق الفاسد المضطرب (٤) لسانه

القلب . وزكاة[1] الخلقه . وثمرة المروءة . وشعاع الضمير

وقال أعرابي لابنه وسمعه يكذب : يابني إن الكذاب يتعرض للعقاب من ربه . إن قال حق لم يُصدَّق . وإن أراد خيرا لم يُوفَّق . فهو الجاني على نفسه بفعاله ، والدال على فضيحته بمقاله فما صح من صدقه نسب إلى غيره . وما صح من كذب غيره نسب إليه

وقال أحد الفلاسفة . إياك وحكاية ما يستبعد . فيجد عدوك سبيلا إلى تكذيبك . فإن من صفات العاقل أن يحدث بما لا يستطاع تكذيبه

وقال بعض الحكماء . الخرس خير من الكذب . وصدق اللسان أول السعادة وقال آخر . الكذاب لص . لأن اللص يسرق مالك والكذاب يسرق عقلك . وقال غيره . من عرف من نفسه الكذب لم يُصدِّق الصادق فيما يقوله . وقال غيره : نزِّه سمعك عن سماع الكذب كما تنزه لسانك عن التفوّه به

وقال بعض الأدباء . الكذب جماع كل شر . وأصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتائجه : لأنه يُنتج النميمة . والنميمة تنتج البغضاء . والبغضاء تؤول إلى العداوة . وليس مع العداوة أمن ولا

---

(١) نماؤها

راحة. وقال آخر: الكذوب مُتَّهَمٌ وإن صدقت لهجته. ووضحت حجته. وقال غيره. لا سيف كالحق. ولا عون كالصدق

وقال بعض البلغاء. الصادق مصون جليل. والكاذب مُهان ذليل وقال آخر. ليكن مرجعك إلى الحق. ومنزَعك [1] إلى الصدق فالحق أقوى معين. والصدق أفضل قرين. وقال غيره إذا اتُّسم [2] المرء بالكذب نسبت إليه شوارد [3] الكذب المجهولة. وأضيفت إلى أكاذيبه زيادات مفتَعَلة [4]. حتى يصير الكاذب مكذوبا عليه فيجمع بين معرة [5] الكذب عنه ومضرة الكذب عليه

وقال بعض الفضلاء الصدق منجيك وإن خِفْتَه. والكذب مرديك [6] وإن أمَنته

وقال بعض العلماء. من صدق فى مقاله. زادفى جماله. وقال آخر تحَرَّوا [7] الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة. وتجنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة

وقال الشاعر

عوِّد لسانك قول الصدق تحظ به * إن اللسان لما عوِّدْتَ معتاد

موكَّلٌ يتقاضى ما سننتَ له * فى الخير والشر فانظر كيف ترتاد [1]

---

(١) مرجعك (٢) عرف (٣) متفرقات (٤) مختلقة (٥) اثم {٦} مهلك {٧} توخوا {٨} تطلب

وقال آخر

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدقُ بنارالوعيد
وابغ رضا المولى فأغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال غيره

عليك بالصدق فى كل الأمور ولا
تكذب فأقبح ما يُزرى[1] بك الكذب

وقال غيره

ما أحسن الصدق فى الدنيا لقائله * وأقبح الكذبَ عند الله والناس

وقال غيره

وما شيء إذا فكّرتَ فيهِ * بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الذى لاخير فيه * وأبعد بالبهاء[2] من الرجال

***

الحياء

هو الكف عن كل مايستقبحه العقل . ويمجه الذوق . واستنكار كل مالا يرضى به الخالق والمخلوق . خلق شريف يمنع المرء

---

(١) ينقص (٢) الحسن

عن فعل المحرمات والمنكرات، ويصونه عن الوقوع فى الأوزار والآثام. فمن فقدَ الحياء فقد ذهبت آدابه أدراج الرياح وأضحى منبوذا محروما من كل خير وفضل

قال الله تعالى (ومَنْ تَزَكَّى [1] فإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء [2] من الجفاء [3] . والجفاء فى النار) وقال عليه الصلاة والسلام (استحيوا من الله حق الحياء. من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأسَ وما وَعَى . وليحفظ البطنَ وما حوى . وليذكر الموت والبِلى [4] . ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا . فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء) وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الحياء والإيمان قُرنا جميعا .فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر)

وقال عليه السلام (الإيمان بضع وستون شُعبةً .والحياء شعبة من الإيمان)وقال (الحياء لا يأتى إلا بخير) وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى .

---

(١) تطهر (٢) الفحش (٣) الجفاء ضد البر (٤) الفناء

إذا لم تستح فاصنع ماشئت)

وقال كعب . استحيوا من الله فى سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم

وقال حُذَيفة بن اليمان . لاخير فيمن لايستحي من الناس

وقال بعض الحكماء . من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه

وقال آخر الحياء فى الصبى . خير من الخوف . لأن الحياء يدل على العقل . والخوف يدل على الجبن

وقال أحد الأدباء . ليكن استحياؤك من نفسك أكثرَ من استحيائك من غيرك . وقال آخر . من عمل فى السر عملا يستحي منه فى العلانية . فليس لنفسه عنده قدر

وقال بعض البلغاء . حياة الوجه بحيائه . كما أن حياةَ الغرس بمائه

وقال آخر أحْيِ حياءك بمجالسة من يستحَى منه وقال غيره . اجعل الحياء حُكْما على أفعالك

وقال أحد الفصحاء . سِمَةُ[1] الخير الدَّعة[2] والحياء . وسِمة الشر القِحَةُ[3] والبذاء . وكفى بالحياء خيرا أن يكون على الخير دليلا . وكفى بالقحة والبذاء أن يكونا إلى الشر سبيلا

---

(١) علامة (٢) السكينة (٣) قلة الحياء

وقال آخر. القناعة دليل الأمانة والأمانة دليل الشكر. والشكر دليل الزيادة. والزيادة دليل بقاء النعمة. والحياء دليل الخير كله

وقال أحد العقلاء. عليك بالحياء والأنفة[1] فإنك إن استحييت من الفضاحة[2] اجتنبت الخساسة[3] وان أنفت من الغلبة لم يتقدمك أحد فى مرتبة. وقيل لا وفاء لمن ليس له حياء

وقال الشاعر

إذا قل ماء الوجه قلّ حياؤُه * ولا خير فى وجه إذا قل ماؤه
حياءك فاحفظهُ عليك وإنما * يدل على فعل الكريم حياؤه

وقال آخر

إذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحى فاصنع ماتشاء
فلا والله ماف العيش خيرٌ * ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخيرٍ * ويبقى العودُ ما بقى اللِّحاء[4]

وقال غيره

وحاجةٍ دون أخرى قد سَنَحْتُ[5] بها
جعلتها للتى أُخفيت عُنوانا

---

(١) الاستنكاف (٢) كشف المساوى (٣) الدناءة (٤) قشر الشجر (٥) عرضت عنها ولم أصرح بها

وإنني لأرى مَن لاحياء له * ولا أمانة وسْط القوم عُريانا

وقال غيره

وربّ قبيحة ماحال بيني * وبين ركوبها إلا الحياء

فكان هو الدواء لها ولكن * إذا ذهب الحياء فلا دواء

وقال غيره

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقاً

وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

* * *

التواضع

هو تجمل النفس بالخضوع ومنعها عن الترفع على الناس والاستخفاف بهم . وحملها على احترامهم مهما اختلفت درجاتهم وتبايئت مشاربهم . وعدم الكبر على أحد سواء فى ذلك الوضيع والرفيع والصغير والكبير ليحافظ على منزلته فى النفوس ويأخذ مكانته فى القلوب . وهى خصلة محمودة تدعو إلى التوادد والتعاون وتدل على طهارة النفس . وسلامة الذوق . فكم رفع التواضع أقواما فكانوا هم الأعلى فازوا برضا ربهم والفضل العظيم

وكم خفض الكبر آخرين فحل عليهم غضب الرحمن وباءوا بالخسران المبين

قال الله تعالى (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) وقال تعالى (وَلَا تُصَعِّرْ[1] خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا[2]. إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ[3] فَخُورٍ) وقال عز وجل (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا[4]. وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) وقال جل شأنه (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا ولا يبغ بعضكم على بعض) وروى قيس بن حازم أن رجلا أُتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأصابته رعدة[5]: فقال له صلى الله عليه وسلم (هَوِّنْ[6] عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد[7]) وقال عليه الصلاة والسلام (ما تواضع أحد لله إلا رفعه) وقال عليه

---

(١) لا تمل خدك تكبرا (٢) فرحا وبطرا (٣) معجب بنفسه متكبر (٤) بسكينة ووقار (٥) اضطراب وخوف (٦) خفف (٧) اللحم المقدد

السلام (لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر) وقال (اجتنبوا الكبر فإن العبد لا يزال يتكبر حتى يقول الله تعالى للملائكته اكتبوا عبدى هذا فى الجبارين) وقال لعمه العباس (أنهاك عن الشرك والكبر فإن الله يحتجب منهما)

وقال سعد بن أبى وقاص لابنه : يابنى إياك والكبر وليكن ماتستعين به على تركه علمك بالذى منه كنت والذى إليه تصير

وقال سفيان . السَّفلة إذا تعلموا تكبروا : وإذا تموّلوا[1] استطالوا[2] والكرام إذا تعلموا تواضعوا : وإذا افتقروا استطالوا

وقال ابن السماك : تواضعك فى شرفك أشرف لك من شرفك

وقال بعض الحكماء . من أظهر عيب نفسه فقد زكاها فإذا قطع أسباب الكبر وحسم[3] مواد العُجب اعتاض بالكبرياء تواضعا : وبالعجب تودداً وذلك من أوكد أسباب الكرامة : وأقوى مواد النعم . وأبلغ الشفعاء إلى القلوب يعطفها إلى المحبة . ويَثنيها[4] عن البغض . وقال آخر . من نال منزلة فأبطرته[5] دل على رداءة أصله وعُنصره . وقال غيره . من تكبر على الناس

---

(١) صاروا أصحاب أموال {٢} تكبروا (٣) قطع . {٤} يصرفها و يكفها
(٥) سفه نفسه

ذلّ . وقال غيره : عُجب المرء بنفسه أحد حساد عقله . وليس إلى مايُكسبه الكبر من المقت حدٌّ . ولا إلى مايتهى إليه العجب غاية . حتى إنه ليطفئ من المحاسن ماانتشر . ويسلُب من الفضائل ماالشتهر . وناهيك بسيئة تحبط [١] كل حسنة . وبمذمة تهدم كل فضيلة مع مايثيره من حنق [٢] . ويكسبه من حقد . وقال غيره . من برئ من ثلاث نال ثلاثا . من برئ من السرف . نال العز . ومن برئ من البخل نال الشرف : ومن برئ من الكبر نال الكرامة

وقال أحد الأدباء . من وُلد فى الفقر أبطره الغنى . ومن ولد فى الغنى لم يزده إلا تواضعا

وقال أحد العلماء . أجهل الناس من قل صوابه . وكثر إعجابه وأبغض الناس ذو عُسر يخطر [٣] فى رداء كبر . وقيل التواضع من أخلاق الكرام . والتكبر من أخلاق اللئام . وقيل تاج المرء التواضع

وقال الشاعر

وأقبح شىء أن يرى المرء نفسه ... رفيعا وعند العالمين وضيع

تواضع تكن كالنجم لاح [٤] لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع

---

(١) تبطل (٢) غيظ (٣) يتبختر فى مشيه (٤) لمع

ولاتك كالدخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو وضيعُ

وقال آخر

اتضع للناس إن رمت العلا واكظم الغيظ ولا تُبد الضجر

وقال غيره

إذا شئت أن تزداد قدرا ورفعةً

فلِنْ وتواضع واترك الكبر والمُجْبَا

وقال غيره

تواضع إذا مانلت رفعة فإن رفيع القوم من يتواضع

وقال غيره

يامظهر الكبر إعجابا بصورته

انظر خلالك فان النتن تثريبُ (١)

لوفكر الناس فيما في بطونهم مااستشعر الكبر شُبانٌ ولاشيبُ

هل فى ابن آدم مثل الرأس مكرُمةٌ

وهو بخمس من الأقذار مضروبُ (٢)

أنف يسيل وأذنٌ ريحها سهكٌ (٣)

والعينُ مُرفِضة (٤) والثغر ملعوبُ (٥)

---

(١) قبيح (٢) موصوف (٣) كريه (٤) ذات غمص {غمص} {٥} الفم يفرز لعابا

يابن التراب ومأكول التراب غدًا
أقصر (١) فإنك مأكول ومشروب

***

الصبر

هو تحمل النفس مكاره الحياه . وعدم الجزع لنوائب الدهر ونكباته : وهو الدواء الشافى لمن ملك الحزن عليه نفسه . والبلسم المعافى لمن قبض الجزع على زمام عواطفه : بل هو عين الراحة : وينبوع الفرح . ومبيد الهموم : ومزيل الغموم . ولا سبيل إلى تشتيت ماعلق بالمرء من الأحزان إلا التمسك به والتعلق بأهدابه . فهو ركن حصين فى محاربتها . وعماد قويم على دفعها وناهيك بمظم ثواب الصابرين . وسوء عاقبة الجازعين

قال الله تعالى (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) وقال تعالى (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وقال جل شأنه (يَا أَيُّهَا

(١) كف عن الكبرياء

الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) وقال عز وجل (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وقال تعالى (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وقال تعالى (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفضل الإيمان الصبرُ والسماحة [1] وقال عليه الصلاة والسلام (الصبر ستر من الكروب [2] . وعَوْن على الخُطوب [3]) ورُوى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قال الله تعالى إذا وجهتُ إلى عبدٍ من عبيدى مصيبةً فى بدنه أو فى ولده أو فى ماله فاستقبلها بصبرٍ جميل استحييت يوم القيامة أن أنصبُ له ميزانا أو أنشُر له ديوانا) وعنه أنه قال (النصر مع الصبر والفرج مع الكرب . وإن مع العسر يسرا) وقال عليه السلام (من أصيب بمصيبة فى ماله أو جسده وكتمها ولم يشكها إلى الناس كان حقا على الله أن يغفر له) وقال (من أُعطى فشكر . ومُنع فصبر وظُلم فغفر . وظلم فاستغفر . فأولئك لهم الأمن وهم مهتدون)

---

(١) الجود (٢) الغموم (٣) المصائب

وقال على كرم الله وجهه للأشعث بن قيس . إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور . وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور [١] وقال الصبر مطية لا تكبو [٢] . والقناعة سيف لا ينبو [٣]

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . أفضل العدّة الصبر على الشدة

وقال ابن مبارك . المصيبة واحدة . فإذا جزع صاحبها فهما اثنتان . لأن إحداهما المصيبة بعينها . والثانية ذهاب أجره . وهو أعظم من المصيبة

وقال أكثم بن صيفى . من صبرَ ظفرَ

وحكى كعب الأحبار أنه مكتوب فى التوراة . من أصابته مصيبة فشكا إلى الناس فإنما يشكو ربه

وحكى أن أعرابية دخلت من البادية . فسمعت صراخا فى دار فقالت ما هذا . فقيل لها مات لهم إنسان فقالت . ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون . وبقضائه يتبرمون [٤] وعن ثوابه يرغبون

وقال بعض الحكماء . من أحب البقاء فليعدّ للمصائب قلبا

---

(١) الوزر الاثم (٢) لا تسقط (٣) لا يفل (٤) يضجرون

صبورا . وقال آخر . بالصبر على مواقع الكرْه تُدرك المحظوظ

وقال أحد الصلحاء . اصبر لحكم من لاتجد معوّلا إلا عليه ولا مفزعا [١] إلا إليه

وقال عثمان بن عفان

خليليّ لا والله مامن ملمةٍ [٢] * تدوم على حي وإن هي جلّتِ [٣]

فإن نزلت يوما فلا تخضعن لها * ولا تكثر الشكوى إذا النعل زلّتِ

فكم من كريم قد بلى بنوائبٍ * فصابرها حتى مضت واضمحلّتِ

وكم غمرةٍ [٤] هاجت بأمواج غمرةٍ * تلقيتها بالصبر حتى تجلّتِ [٥]

وكانت على الأيام نفسي عزيزةً * فلما رأت صبري على الذل ذلت

فقلت لها يانفس موتي كريمةً * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولّتِ

وقال إبراهيم بن العباس

ولَرُبَّ نازلةٍ يضيق بها الفتى * ذرعا [٦] وعند الله منها المخرجُ

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فُرجت وكان يظنه لا تفرج

وقال محمد بن بشير الخارجي

إن الأمور إذا سُدَّت مسالكها [٧] * فالصبر يفتح منها كلّ ما ارتتجا [٨]

---

(١) ملجأ (٢) مصيبة (٣) عظمت (٤) شدة (٥) انكشفت (٦) لم يطقها ولم يقو (٧) طرقها (٨) أغلق

لاتيأسنّ وإن طالت مطالبها * إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومُدْمن[1] القرع للأبواب أن يلجا[2]

وقال الحسن بن محمد البوريني

صبرا على نُوَب الزمان فإنها * مخلوقةٌ لنكاية[3] الأحرار

لايُكسف النَّجم الضعيف وإنما * يَسرى الكسوف لرفعة الأقمار

وقال الشاعر

اصبر ففي الصبر خير لو علمت به

لكنت باركت شكرا صاحبَ النِّعَم

واعلم بأنك إن لم تصطبر كرما * صبرتَ قهرا على ماخُطّ بالقلم

وقال آخر

عليك بالصبر فيما قد مُنِيتَ[4] به

فالصبر يُذهب مافي الصدر من حرج[5]

كم ليلةٍ من هموم الدهر مظلمةٍ * قد ضاء من بعدها صبحٌ من الفرج

تصبَّر ففي اللأواء[6] قد يُحمد الصبر وقال غيره

ولولا صروف الدهر لم يُعرف الحُرُّ

---

(١) المداوم (٢) يدخل (٣) لقهر (٤) ابتليت (٥) ضيق (٦) الشدة والمحنة

وإن الذى أبلى هو الموْن فانتدبْ (١)

جميلَ الرضا يبقى لك الذكر والأجر

وثق بالذى أعطى ولا تك جازعا

فليس بحزم أن يروّعك (٢) الضرّ (٣)

فلا نِقَمٌ تبقى ولا نِعمٌ ولا * يدوم كلا الحالين عُسرٌ ولا يُسرُ

وقال غيره

وإنى لأُغضى (٤) مُقلتى على القذى

وألبَس ثوب الصبر أبيضَ أبْلَجا (٥)

وإنى لأدعو الله والأمر ضيقٌ * علىّ فما ينفكُّ أن يتفرّجا (٦)

وكم من فتى ضاقت عليه وجوهُهُ * أصاب لها فى دعوة الله مَخرجا

وقال غيره

إذا بُليت فثق بالله وارض به * إن الذى يكشف البلوى هو الله

إذا قضى الله فاستسلم لقدرته * ما لامرئ حيلة فيما قضى الله

اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسَنَّ فإن الصانع الله

---

(١) انتدب دعا (٢) يفزعك ويخوفك (٣) السوء (٤) أطبق عينى (٥) مشرقا مضيئا (٦) ينكشف